الرَّيّ

خِصْبٌ للبلاد وصحَّةٌ للعباد

بقلم الحكيم امين الجميّل

عنينا بالريّ ضبْط المياه وتنظيمها بعد استنباطها ، طِبقاً لقوانين اقتصاديّة وعمرانية وصحّية جعلناها موضوع هذا البحث وغايته

بالريّ عمران الارض ، وجمال خضرتها وأزهارها ؛ وبه وفاهية الشعب ، وسلامته وعافيته . فالماء العنصر الأوليّ لكيان النبات والحيوان والانسان ، المؤلف لثلاثة ارباع زنة أنسجة هذه المخلوقات : « وجَعَلنا من الماء كلّ شيء حيّ » !

أجل ان الماء ذلك ، كلّ ذلك على شرط ان يكون نقيًّا ، جارياً ، غزيرًا . وهو ويلٌ ووَبالٌ اذا جاء دَنِساً ، ساكناً ، شحيحاً . قلنا وكتبنا مرارًا حتى للمفوّضين السامين انفسهم عن عقيدة لنا قديمة ، ولم تزل جديدةً ، تزداد مع الزمن رسوخاً ويقيناً : ألفُ وباء الاصلاح والتصحيح في البلاد انما هما العناية بالمياه . ان المُصلح العظيم للوطن ، ان المُحسن الاكبر ، إنما هو ذلك الذي ينظّم الريّ ويضبط فيه المياه

وقد تَشتّت الأُمّة عن المُصلح المصحّح ، فظهر لها اثنان اذا أرادا وفعلا متعاونين ، كانا صاحبَي الخير العميم والاسم الخالد المجيد

فانت اوّلهما ايها الوزير المحقّق حسين الأحدب ، وقد أتممتَ النهوض بنهضة بيروت الجميلة ، وأقمتَ البنايات الفخمة في مقام الخرائب الشنيعة ، وفتحتَ الشوارع المستقيمة النظيفة في مكان الأزقّة المتعرّجة ، آتياً بالشمس المُحيية والهواء الحيّ الى حيث الرطوبة الدائمة منبت العفونة وجاعلًا من سوق «الفشخة» شارع « ڤيغان » ؛ وهو أحقّ باسمك كما قلتُ يومَ كنا نشتغل معاً في وضع اسماء للشوارع ؛ وأخيرًا حللتَ مُعضلة الغبار في طرُق لبنان

وانت يا وزير الصحة الحكيم ابا الروس ، مَن عرفناك طبيباً لامعاً ، حبيباً للعلم والرقيّ ، وعايناك منصرفاً في منصبك الى خير بلادك ، انتا مَن يُطلب

منها هذا العمل الخطير ، أخطر الأعمال ، ألزمها ، أفيدها ؛ وهو في ذمّتكما نقاوة الماء = فإنّ بها ، ليس فقط عذوبته ولذّته ، ولكن بهذه النقاوة — الأمر الأهمّ — اي سلامتـه من جراثيم الهواء الأصفر ، والتيفيّة واخواتها ، والزحار ، وبعض الديدان . ومن الثابت ان هذه الأوبئة لا تنتشر الا عن طريق الماء ، مُباشرةً او عن طريق تلويثه للخضراوات المأكولة نيئة ، او الآنية

إن يُصَبْ احدٌ بما ذكرنا من الامراض او يدهَمْ الوباء مدينةً او حيًّا قُـلْ وانتَ على صواب : جراثيم دخلت الماء وذاعت عن هذا السبيل وفتكت . هذا هو السبب الوحيد لتواتُر اوبئـة الكوليرا الى السنين الاخيرة في بغـداد والشام وطرابلس ، وإقامة التيفيّة في صيداء وبعلبك ، وسائر المدائن إذ ترى مياه الشرب مكشوفة اي ملطّخة

جريان الماء = إن يـكن الماء يقتلُ من عرف القطر المصري الجار العزيز ، أكبر بدون ريب مدهوشاً شبكة قنوات نيله المبارك ، الساري فيها الخصب العجيب

كان فدّان الارض قبل تنظيم الريّ يُباع باربعين جنيهاً وهو الآن يُؤجَر بهذا القدر . ولم يكن ذلك الخصب لو لم يتم بجانب ، اي بجذاء تلك الشبكة الساقية ، شبكةٌ ثانيةٌ غايتهـا عكس غاية الاولى يُحدّدهـا اسمُها الشائع « مصارف » لذهابها برطوبة التربة وما يفيض عنها من الماء ، تباعاً الى البحر : فالرطوبة المقيمة خمّة وفسادٌ وموت حتى لجذور النبات

وما الضرر هذا وحسب ، بل هو ايضاً وخاصةً بالبرغش . وهو لا يتولّد الّا في الماء الساكن . وهذا الحيوان ، شرُّ الحيوانات ، السبب الوحيد الناشر لأفظع آفات بلادنا الشرقيّة : البرداء ؛ ولأثقل أوبئتها : ابي الركب . فضلاً عن غير علّى كحبّة حلب ، وعلاوةً على إزعاجه بلدغه وصوته . وما دام عندنا بعوضٌ ونـنـام بدون ناموسيّات فما نحن ببيئةٍ صحية تليق بقوم ناهضين يعرفون للعافية قيمة ، وللوقاية مقدرة

غزارة الماء = ضروريّة للحدائق والحمّامات والفواصل المائيّة (siphons) الواقية وحدها البيوت من الروائح الفسادية ؛ وللنظافة جملةً وعلى إطلاقها . والنظافة أمّ الصحة وابوها ؛ لا جمال بدونها ؛ ولا زينة طبيعية بغير الماء الدافق :

إذن ليكن الماء بكل مكان وليُعطَ الجميع كافياً وافرًا !

وها انا قد وصلنا ، بعد النظريّات ، الى العمليّات اي الى التحقيق . فكيف يكون ذلك ؟

في مقدّمة المطالب والحاجات الوطنية ، مسئلة المياه ، فيُطلب منكما ايها الوزيران ، ونودّ ان يبلغ هذا النداء فخامة المفوض السامي(١ نفسه والدوائر التي نقرأ على أبوابها عنوانات مراجع لما هو من الصحة والعمران والأشغال النافعة وربما « الريّ » باسمه

Services hydrographiques Services économiques

Services sanitaires et d'Hygiène

البحث بكل اهتمام ودقّة في مياه كلّ نهر وعين حتى في أصغر قرية بل في ان يُستنبَط ما في قلب الارض من هذا الكنز السائل اكبر الكنوز المخفية ، فتُجمَع وتضبَط في قنوات محكمة او تُسيَّل بحيث لا يدخلها أدناسٌ بتةً ولا تستنقع أصلًا . فيُعطى كل بيت وكل فردٍ قسطه منه

ثم يُدفع بالباقي السقي بحيث لا يضيع منه قطرةٌ ، وفاقاً لحاجات الجماعة والأفراد وضروريات الأملاك . كل ذلك بمعيار واوقات مُعيّنة .

ولا يحسبنّ احدٌ انا نطلب أمرًا فريًا غريباً فكل الحكومات الجديرة بهذا الاسم ، كجمهوريات اميركة ، ومدُن خليج السويس ، واقليم الصعيد نفسه ، تتمشّى على هذه القواعد فلم يبقَ بها برغش ولا مرض بَعُوضيّ . وبالامس قد سلّمت لبعض الجرائد وحضرة وزير الصحة رقاعاً بريديّة من فلسطين مطبوعة بالعربيّة والانكليزيّة والعبرانية تفيد : ان كل من كان ببيته برغشٌ ، عليه ان يكتب عنوانه ويلقي كتابه مجاناً في علبة البوسطة لتهتمّ الحكومة حالًا في تخليصه من الضيف المؤذي الثقيل !... وليوقن الجميع ان كل خلل في هذا النظام ويلٌ وضربات وآفات ؛ وكل ماء يذهب سدى ، ولو قلّ جرمه ، جريمةٌ على اقتصاديّات البلاد ؛ وبكل ماء ساكنٍ بعوضٌ فأذى للصحة ؛ وكل دنسٌ

١) يزيد المرّة طالما ونحن نتفحّص المستندات ان المفوّضية سلّمت حكومة لبنان ٥٠ مليونًا بشرطة إنفاقها في الري . فتمم الشرط ! ونعم التقيّد به

يلحق بالماء يمكنه ان يُنتج اوباء

كل مَن يجهل او يعرقل سير المياه وطهارتها يجرم الى الأمة ويقتل لا فردًا فقط ، كمن يعلّق على مشنقة ، بل مئات !...

ما أحلى الاشتراكيّة في توزيع المياه ؛ وما أحكم ما قاله امس في خطابه في بيروت بجمعية الاطبّاء الاستاذ الشهير اشار البارزي : « ليس مالٌ أحقّ بالإنفاق وأفيد للشعوب ممّا يُبذَل في سبيل ضبط المياه وسلامتها وتسييلها...»

نحن لا ريب عندنا يا حضرة الوزيرَين بان المهمة جسيمةٌ وتنفيذها شاقٌّ ؛ ولكن إن جعلتا لكل بلدةٍ ، ولو صغيرة ، بلديةً بنظام خاصّ لكل مياهها واشرفتا في كل عام على ما يُتمّم منه ؛ واذا جعلتا لكل مجموعة دساكر متجاورة لجنةً تعنى فيما بمثل هذه المسائل الحيويّة ؛ وراقبتا مَن أقمتا من المراقبين او المفتّشين ، فانه لا يمضي القليل من الوقت حتى تكونا قد أحييتا وطنكما واراضي شعبه المتهافت على المهاجرة او المختّم في الفقر والذلّ

ان الأمر ليسهل عليكما اذا استعنتما برجال الهمّة العاملين اليوم ما فعله من قبلُ الشهابيّون في نهر الكلب ولغير انهار والخوري الغريب في الدامور . واذا ساعدتما الرجال الوطنيين النافعين كيوسف الزين الراوي لجهات النبطيّة ، ويوسف البريدي الذي اشتغل مع اعوانه لضبط مياه زحلة وتوزيعها على البيوت ، ومثله حبيب عقل لمياه المنبوخ في المتن الشمالي وناحية بكفيا ، والمير امين ابي اللمع لجلّ الديب ، وما سيفعله قريباً المهندس الاختصاصي الشهير بفنّ الري ادمون بشارة لنهر القاسمية

وما اكثر مثل هذه المشاريع من نهر ابرهيم الى الليطاني او نهر انطلياس ونبع العسل واليشوني ، فغزّار البوشرية ، فنهر بيروت (قناطر زبيدة) ، ومثله الف نبع وعين من كل جهة وصوب . وكل ذلك ينتظر حكومةً حكيمة محقّقة تنهض بقوم اتفقوا على ان لا يتفقوا . وحذار ايها الشعب ، حذار ايتها الحكومة من الاستسلام الى شركات تحتكر مواردكم دون قيد ولا شرط

ونحن ، على هذا الامل ، نلتمس من الحكومة النشاط الى العمل ؟